قد فرغت قال أذن في الناس بالحج قال أي رب كيف أقول قال قل
يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم عز وجل
فوقف على المقام وارتفع به حتى كان أطول الجبال فنادى وأدخل
أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه شرقا وغربا ينادي بذلك ثلاث
مرات أي وزويت الأرض له يومئذ سهلها وجبلها وبحرها وإنسها
وجنها حتى أسمعهما جميعا فقالوا لبيك اللهم لبيك وبدا بشق اليمن
ومن ثم يكون أول من أجاب أهل اليمن وسيأتي النص على ذلك في
بعض الروايات وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان أهل اليمن
أكثر إجابة ومن ثم جاء في الحديث الإيمان يمان وقال صلى الله عليه وسلم
في حق أهل اليمن يريد أقوام أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن
يرفعهم وروى الطبراني بإسناده عن علي كرم الله وجهه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أهل اليمن فقد أحبني ومن أبغضهم
فقد أبغضني ومما يؤثر عن إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه
من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه وقد ذكر في تفسير
قوله تعالى فيه آيات بينات مقام إبراهيم هو أثر قدمي إبراهيم عليه السلام
على المقام كما ذكر وقيل له البيت العتيق لأنه أعتق من الجبابرة
لم يدعه أي يجب ينسب إليه جبار من الجبابرة الذين كانوا بمكة
مع العمالقة وجرهم وقال القاضي تبعا للكشاف لأنه أعتق من
تسلط الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى قال
وأما الحجاج فإنما كان قصده إخراج ابن الزبير رضي الله عنهما لما
تحصن به دون التسلط عليه كذا قال بعضهم وعن عبد الله
ابن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما أنه قال إنما سمي بكة أي
بالموحدة لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة ولينظر من قصده

ليهدمه

ليهدمه من الجبابرة غير أبرهة ثم البيت في الشرف أي ثلاثة
غيره قصدوا هدمه اثنان قاتلهما آخرا عدم منعهما والثالث
كان في أول زمان قريش أراد هدمه حسدا على شرف الذكر لقريش به
وأن يبني عنده بيتا يصرف حاج العرب إليه فلما قارب مكة أظلمت
الأرض وأيقن بالهلاك وأقلع عن تلك النية ونوى أن يكسو البيت
وينحر عنده فانجلت الظلمة ففعل ذلك وفيه أن هذا الذي حصلت
له الظلمة إنما هو تبع الأول فإنه لما عدا إلى البيت يريد تخريبه أرسلت
عليه ريح كتعت منه يديه ورجليه وأصابته وقومه ظلمة شديدة وفي
رواية أصابه داء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا أي ينبع نتنا حتى لا
يستطيع أحد أن يدنو منه فدعا بالأطباء فسألهم عن دائه فسألهم ما
داواه منه ولم يجد له عندهم فرجا فعند ذلك قال له الحبر لعلك هممت
بشيء في حق هذا البيت فقال نعم أردت هدمه فقال له تب إلى الله تعالى
مما نويت فتاب إلى الله ورجع وأمره بتعظيم حرمته ففعل فبرئ من ذلك
أيه وقيل لأنه أول بيت وضع في الأرض وقيل لأنه أعتق من الغرق
بسبب الطوفان في زمن نوح عليه الصلاة والسلام كذا في الكشاف
وغيره وفيه نظر ظاهر لما تقدم من دثوره بالطوفان ولما ذكر في قصة نوح
أنه لما بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الأرض فوقعت بوادي الحرم
فإذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها
إلا أن يقال أن معنى أعتق من الغرق فإنه لم يذهب بالمرة بل بقي أثره
وفي الخميس عن ابن هشام رحمه الله أن ماء الطوفان لم يصل للكعبة ولكن
قام حولها أو بقيت هي في جو السماء أي بناء على أن الكعبة هي الخيمة
التي كانت على زمن آدم عليه السلام وتقدم عن الكشاف أنها رفعت
إلى السماء السابعة الرابعة وهو البيت المعمور وهذا علمت